# تداوليّة الحجاج في الاِستعارة العرفانيّة

# *The pragmatics of pilgrims in cognitive metaphor*

سميّة نيد *

محمّد مدّور ♣

| تاريخ الإرسال: 2021/07/16 | تاريخ القبول: 2022/10/12 | تاريخ النشر: 2022/11/10 |
|---|---|---|

**الملخص:**

أقرّ القدامى أنّ توظيف اللّغة يكون ضمن مقام معيّن، مع مراعاة الظّروف والتّركيز على المتلقّي، بإعتباره المحور الأساس في عمليّة التّخاطب الذّهنيّة، كونه يقف على خلفيّة معرفيّة تعمل على إعادة إنتاج النّصّ، ويتمّ ذلك تحت نيّة حجاجيّة عرفانيّة، تهدف إلى الإقناع من خلال إنجاز الملفوظ (الطّلب والإنشاء) الّذي يتنوّع حسب المقام، كما يحتاج كلّ من (الباثّ/المتلقّي) إلى الصّورة الشّعريّة كالاِستعارة المفهوميّة الّتي ذكرها "لايكوف Laykoff" و"جونسون Johnson" وأنواع المجاز الّتي تخرج إلى وظيفة تأثيريّة إقناعيّة، بهدف تبليغ المقصديّة، هذه الأخيرة تستلزم مقامًا محدّدًا يبيّن معناها ومرماها.

**الكلمات المفتاحيّة:** التّداوليّة، القصديّة، الحجاج، البلاغة، الاِستعارة المفهومية.

Ancient Arabs believed that the language is employed in specific context by taking into consideration the atmosphere and concentrating on the receptionist as he is the central unit in the process of knowledge since he has already a previous mental image of the information.

This is done under the concept of argumentation. Ancient Arabs' objective was convincing via using the rhetorical style which can be changed according to the context.

Besides, they believed that both of the speaker and the audience or the listner need different kinds of poetric images like the rhetorical metaphor

* جامعة غرداية sou.nid076@gmail.com

♣ جامعة غرداية Meddour.medj@gmail.com

which was highlighted by Laykoff and Johnson who targetted to convey two main objectives which are convincing and effecting.

**Key words**: Pragmatic, Intentionality, Argumentation, Conceptual metaphor

**المؤلف المرسل: سميّة نيد sou.nid076@gmail.com ك**

**مقدّمة:**

يعدّ الجانب الحجاجي أقوى الجوانب في كتاب الله؛ إذ نلمسه في كلّ السّور ولا يخلو من واحدة منهم، ذلك أنّه يشكّل أحد المحاور الرّئيس في الخطاب التّداولي العرفاني الّتي لا يمكن بأيّ حال من الأحوال تجاهلها أو تغافلها، خاصّة إذا رجعنا إلى الظّروف المقاميّة الّتي نزل فيها؛ كان لابدّ من وجود جانب خطابي إقناعي، وحجاج دامغ لدحض النّقيض من ذلك ومنه التّأثير من أجل التّغيير، باعتبار المتلقي عنصرا مشاركا في الخطاب ومنه في إنتاج معنى النّص اِنطلاقا من خلفيته المعرفيّة. لذلك أصبح الحجاج شكلًا خطابيًّا ضروريًّا بحكم القضايا الّتي يعالجها الباث متكلّمًا كان أو مرسلًا، لحوار المتلقّي أو بعث رسالة له سواء كان مستمعًا أو قارئًا، فما يوجّهه الخطاب القرآني للمتلقّي يتعلّق بتحليل الجانب الحجاجي ووعيه ووقوفه على المقصديّة من التّوظيف، وعليه ما هو تأثير الحجاج في البلاغة العرفانيّة؟ وهل يمكن أن نجد أصول العرفانية في البلاغة العربية القديمة؟ من هذا المنطلق ارتأينا الوقوف على تأثير الحجاج في البلاغة العرفانيّة.

**1-التّداوليّة في الفكر العربي:**

التّداوليّة هي دراسة كلّ مظاهر المعنى من غير فصلها عن نظريّة دلاليّة، فهي دراسة اللّغة عند اِستعمالها في إطار سياق معيّن دون إهمال للمعنى وظروف الكلام، فهي تهتمّ بالمتخاطبين ومقاصدهم والسّيّاق الّذي ترد فيه مع مراعاة المقام، وكلّ هذه العناصر مترابطة ومتداخلة فيما بينها[1]

تميّزت الدّراسات اللّغويّة في التّراث العربي بجوانب اِهتمّت بها وتأسّست عليها اللّسانيّات التّداوليّة اليوم، وقد اِهتمّ الدّارسون القدامى بدراسة النّصّ والخطاب

بأنواعها، متجاوزين الوصف البنوي والجانب النّحوي رابطين ذلك بالمقام ومراعاة مقتضى الحال.

فالدّراسات العربيّة عند القدامى ركّزت على قواعد اِستعمال اللّغة عند المتكلّمين ودورهم في عمليّة الإبلاغ والتّبليغ والإفهام والتّفهيم والبيان والتّبيين، وجعل طرفي الحوار/الخطاب من (باثّ ومتلقّي) محور العمليّة التّخاطبيّة، وهذه الملامح والعلامات الواضحة تعرّض إليها "الجاحظ" و"السّكّاكي".

**أ. ملامح التّداوليّة عند "الجاحظ":**

عرّف "الجاحظ" البيان بأنّه اِسم جامع لكلّ شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضّمير حتّى يقضي السّامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنًا ما كان ذلك البيان ومن أيّ جنس كان الدّليل؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي إليها يجري القائل والسّامع إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلّغت الإفهام ووضّحت المعنى، فذاك هو البيان في ذلك الموضع.[2]

فالبيان عند "الجاحظ" هو القدرة على الإبانة والكشف عمّا في الخاطر والنّفس والإفصاح عن الفكر، بوسيلة اللّغة المتكوّنة من ملفوظ وتلفّظ.

وهذا ما يمكن تطبيقه على سورة "مريم" في قوله: ﴿ إِذ نَادَى ربّه نداءً خفيًّا "3" قال ربّ إنّي وهنَ العظمُ منّي واِشتعلَ الرّأسُ شيبًا ولم أكُن بدُعائكَ ربّ شقيًّا "4" وَإنّي خفتُ الموالِيَ منَ وَرَائِي وكانت اِمرأتي عاقرًا "5" فهبْ لي من لدُنكَ وليًّا "6" ﴾ مريم، الآية3-6، فالملفوظ إثبات وصفي للحالة، فيه اِعتراف صريح على كامل الضّعف الجسدي سواء لسيّدنا"زكريّاء" أو زوجه، وهذا اِعتراف كشف عمّا في النّفس، وحقّق من خلاله بلوغ القصد من الخطاب بعد الإفصاح بفعل كلامي تجسّد في البيان والإيضاح.

**ب. ملامح التّداوليّة عند "السّكّاكي":**

لقد اِتّضحت بوادر التّداوليّة في أعمال "أبي يعقوب السّكّاكي" من خلال اِهتمامه بمقتضى الحال وربطه بالعمليّة التّواصليّة وعناصرها من (باثّ /متلقّي)، حيث يرى "أنّ لكلّ من هذين الطّرفين (المتكلّم/المتلقّي) دورًا فعّالاً في تحديد المقصد وتبليغه وفهمه، فقد يكون المتلقّي خالي الذّهن تمامًا أو متردّدًا في الحكم أو منكرًا له، وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر، فيجعل غير السّائل . وهو خالي الذّهن . كالسّائل، كما ينبّه على ضرورة مراعاة المقام وعلاقته بالمتلقّي ووجوب الإلتفات إلى أغراض الخطاب"[3]

وهذا في قوله تعالى من نفس السّورة: ﴿**يا زكريّا إنّا نبشّرك بغلام اِسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميّا "7" قال ربّ أنّى يكون لي غلام وكانت اِمرأتي عاقرًا وقد بلغت من الكبر عتيًّا "8**"﴾ **مريم، الآية7-8**، فمقام الدّعاء من سيّدنا "زكريّاء" وحاله في ذلك، ربط الدّعاء بالله دون واسطة تعظيمًا للمقام الّذي اِستحضره فحقّق الحوار في الإستجابة للدّعاء من الله بتبشيره بالولد، الّتي اِنعكست بعد الخطاب بالدّهشة والتّعجّب الّتي أصابت سيّدنا "زكريّاء"المتمثّلة في الإستجابة الإلهية للدّعاء القصدي.

**2-الخصائص الأساسيّة للنّص الحجاجي:**

**2-1-مفهوم الحجاج:**

**لغة:** أصل المادّة (حَجَجَ): ومنه " حَاجَجتُهُ أُحَاجِجُهُ حِجَاجًا ومُحَاجَّةً حتّى حَجَجتُهُ أي غلبته بالحُجج الّتي أدليتُ بها. وحاجُه مُحاجَجَةً وحِجَاجًا نازعتُهُ الحجّة (...) والحُجَّةُ الدّليل والبرهان "[4].

وفي الصّحاح هو: " الحجّة هي البرهان، وحاجْتهُ فحَجَّهُ من باب رَدْ، أي غَلَبَهُ بالحجّة والمَحَجَّة بفتحتين جادّة الطّريق.[5]

أمّا "الجرجاني" فقال عن الحجاج هو: " الحُجَّةُ ما دُلَّ به على صحّة الدّعوى، وقيل الحُجَّةُ والدّليل واحد".[6]

إنّ هذه التّعريفات تلتقي في فكرة الإقناع، وتقوم على إثبات قصد معيّن بالدّليل؛ إذ يهدف الباث إلى إقناع المتلقّي بما يقدّمه من حجّة بهدف التّأثير فيه.

تجمع جلّ التّعريفات الاصطلاحيّة للحجاج على أنّه عبارة عن تزاوج خطابي بين الباث والمتلقّي (المتكلّم/ السّامع) حول قضيّة، فالباثّ يحاول إقناع المتلقّي بالحجاج والبرهنة والمتلقّي مستعدٌّ دومًا للاِعتراض إذا ما لم تقنعه حجّة الباثّ وهو بدوره صاحب حجّة يحاول الإقناع بها.

وإنّ التّعامل مع فهم النّصّ الحجاجي يستدعي الاِنطلاق من النّصّ والإحاطة بالمقام الّذي قيل فيه، مع الإلمام بكلّ المؤشّرات الّتي تقودنا إلى تصنيف الحجج حسب ورودها في النّصّ، لذلك فالمتعامل مع هذا النّوع من النّصّوص يكشف أنّ الباث يدافع عن القضيّة الّتي يدعمه وهدفه التّأثير في المتلقّي، لذا فإنّه يوظّف مختلف الأساليب ويضع علامات تجعل المتلقّي ينقاد لها، فيؤثّر فيه ويتبنّى تلك الأفكار، هذا ما يستلزم الوضوح وحضور المقام والاِنتباه إلى جملة المؤشّرات المستعملة لا سيما غير المنطوقة منها، نزولا عند النّص الحجاجي القائم على بنية محدّدة والمتضمن قضيّة مركزيّة، فالدّفاع عنها يكون في التّوسيع يخلص إلى خاتمة تلخص التّوسيع والشّمول العام للمعنى القصدي.

ولتحليل الخطاب الحجاجي نقترح هذه الخطوات:

**أ. اِستحضاروتمثُّل المقام التّواصلي للخطاب:**

إنّ ما يعرف بأفعال الكلام عند الغرب متجذّرٌ في الدّراسة العربيّة القديمة سواء عند "الجرجاني" أو"سيبويه" أو"الآمدي"، فيما يعرف بظاهرة الخبر والإنشاء.

كما اِهتمّ "السّكّاكي" بموضوع علم المعاني القائم على الخبر والإنشاء، فيقول عنه: "هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره"[7]. ومنه فهو يركّز على الفائدة أو الإفادة في دراسة الجملة.

إنّ نظريّة الخبر والإنشاء عند العلماء العرب، لم تستقرّ بمفهومها الحديث؛ وإنّما مرّت بمراحل وهذا ما كان من أنواعهما في الطّلب والإنشاء. فنظريّة الأفعال الكلاميّة عند

المعاصرين موسومة عند القدامى العرب بالخبر والإنشاء، وقد قسّم القدامى الكلام إلى أنواع وهذا ما يتّضح عند النّحاة والبلاغيين والمتكلّمين والأصوليين.

فـ"الجاحظ" "قسّم الخبر إلى مطابق للواقع وغير مطابق له، ويرى أنّ الخبر إذا كان مطابقًا للواقع مع اِعتقاد المتكلّم أنّه مطابقٌ فهو صادقٌ، وإذا كان غير مطابقٍ للواقع مع اِعتقاد المتكلّم أنّه غير مطابقٍ فهو كاذب"[8]، "فصدق الخبر يخضع إلى مطابقة الواقع واِعتقاد المُخبِر"[9].

هذا ما نلمسه في مطلع السّورة في قوله: ﴿**ذكر رحمة ربّك عبده زكريّا "1" إذ نادى ربّه نداءً خفيًّا "2"**﴾ **مريم، الآية1-2**

فالجملة هنا خبريّة تشير إلى أنّ المتكلّم (الله) يحمل خبرًا فيه التّقديم والتّأخير تقديره (زكريّاء العبد ذكر رحمة ربّه)، فالجملة إخباريّة صادقة مفادها الإقرار والاِعتراف برحمة الله بعباده، كما أقرّت كامل العبوديّة لله، فالنّداء هنا مرهون بالخبر القصدي، له كامل المطابقة للواقع لأنّ صاحب الخبر يعتقد بل ويقرُّ أنّ خبر الذِّكر والنّداء مطابق للواقع.

إنّ من بين ما اِهتمّت به التّداوليّة في الخطاب هو التّلفّظ أو الملفوظ؛ بِاعتباره "إنجازٌ فعّالٌ متماسكٌ واقعيٌّ متعلّقٌ بالنّشاط الّذي ينتج عنه"[10]، فالملفوظ يُنتَظَرُ منه إحداث الأثر في نفس المتلقّي؛ بِاعتبار المتخاطبين أثناء العمليّة التّواصليّة يتبادلون ملفوظات وفق المقام الّذي تستدعيه، فنجد الباث يردف في المقام التّواصلي مؤشّرات التّلفّظ، الّتي تساعد على فهم القصد من الملفوظ، فإذا قال الباثّ مثلًا: أشكُّ في ...، فإنّه يؤمن بأنّ الملفوظ كليًّا خاطئ، وإذا قال مثلًا: أقول بـ...، فإنّه يعتقد ما يقول ويتبنّاه، أمّا إذا نسب الملفوظ إلى غيره مثلًا: سمعت بـ...، فإنّه يبرّئ ذمّته ويمحو التّبعيّة عن نفسه وينسلخ من مسؤوليّة الملفوظ، ومنه يبتعد عن ملفوظه.

وعليه الملفوظ هو القدرة على تجسيد تتابع لغويّ مفهوم ضمن إطار مقامي يحدّد المعنى والقصد، لذلك فهو ممارسة اللّغة بطريقة خاصّة، تظهر في طريقة الآداء وفق مقام معيّن.

أمّا مصطلح الإنشاء لم يخض بالرّواج في مصنّفات الأوّلين، فعبّر أغلبهم عنه بمصطلح الطّلب، وكان "محمّد بن عليّ الجرجاني" هو من اصطلح عليه اِسم الإنشاء.

أمّا الإنشاء الطّلبي "فحوى الأمر، الدّعاء، الالتماس، هذا ما أقرّه "الكاتبي"، فيسمّى الطّلب أمرٌ إذا اِستعلى المتكلّم على المخاطب ويسمّيه اِلتماسًا إذا تساوى المتكلّم مع المخاطب ودعاءً أو سؤالًا إذا خضع المتكلّم للمخاطب، فمنزلة المتكلّم مقارنة بمنزلة المخاطب هي الّتي تصبغ الطّلب بصيغة خاصّة، ويؤدّي بها اللّفظ غرضًا خطابيًّا خاصًّا ووظيفة تواصليّة معيّنة".[11]

فالاِستعمال اللّغوي مرهون بالقصد لتحقيق التّواصل و"لكلّ فعل أسباب خاصّة بُغية تحقيق غايةمعيّنة لذلك نجد العلاقة قائمة بين الفعل التّأثيري والنّتائج الّتي يحقّقها الفعل الإنجازي بالنّسبة للمخاطب"[12]، لذلك تكثر فيه الأساليب ذات الصّيغة الإنشائيّة نحو قوله تعالى: ﴿فهب لي من لدنك وليًّا "6"﴾ مريم، الآية6، لفإنّ الملفوظات الّتي سبقت هذا القول وضعت المتلقّي للخطاب في جوّ النّصّ، فالأمر هنا من (هب) تحوّل إلى دعاء بحكم خضوع المتكلّم للمخاطب، وتحقّق بعد الإقرار بحالة الضّعف الكليّة للمتلقّي (الله)، ففعل الكلام التّأثيري هنا (الدّعاء) وصل إلى القصديّة بعد تحقّق اللّغة الحجاجيّة والإقناعيّة.

أمّا الإنشاء غير الطّلبي، فهو "الضّرب الثّاني من أسلوب الإنشائي ولكن لا طلب فيه فلا يستلزم مطلوبًا غير حاصل وقت الطّلب، وأنواعه عند الجمهور: التّرجّي، القسم، التّعجّب، الرّجاء، صيغ العقود، صيغ المدح والذّم، صيغ عقّاريّة".[13]

وكلّ هذه الأنواع مرتبطة هي الأخرى بالقصديّة، فالباثّ " حين يتلفّظ بقول ما يُنجز معنًى تأثيريًّا مقصودًا"[14]، فأساس الفعل القصديّة، فالتّعجّب هنا جاء بردّ سيّدنا زكريّا ﴿أنّى يكون لي غلامٌ "8"﴾ مريم، الآية8 اِندهاش من الاِستجابة لشيء بالنّسبة له مستحيل وهنا حدث التّعجّب.

**ب. الصّورة الشّعريّة العرفانية و أثرها على النّصّ الحجاجي:**

إنّ توظيف الصّور الشّعريّة في الكلام، يخرج إلى **وظيفة تأثيريّة** إقناعيّة هذا ما نلمسه في:

**1. الإستعارة:**

تعتبر الإستعارة من الوسائل الإقناعيّة الّتي تقوم عليها اللّغة الحجاجيّة وتستند على توسيع دائرتها من خلالها، لما تتوفّر عليه من قدرة على الإفهام والتّفهيم والبيان والتّبيين، ومنه الإقناع فبغموضها وإيحاءاتها الدّلاليّة، فتحت المجال أمام الدّارسين وأصبحت تشكّل إحدى الأساليب التّبليغيّة ذات الأثر الدّلالي، نتيجة تداعيات الصورة المجازيّة فيها. وقد وجدت الإستعارة عند العرب قديمًا في كلامهم وأشعارهم، وكان لها وقع فريد في تبليغ القصديّة وإمتدّت إلى وقتنا فنحن نوظّفها في كلامنا العادي وفي مختلف المجالات وإن لم نقف عندها، ولكن يكفي إستحضار المقام للفهم.

**1-1الإستعارة عند العرب القدامى:**

إهتمّ المفكّرون القدامى بالاستعارة والمجاز سواء منهم اللّغويّون والمتكلّمون والأصوليّون، فقد عنوا بها لإرتباطها بالإعجاز القرآني، لذلك شكّلت الإستعارة والمجاز عندهم مباحث كثيرة ، فنجد "عبد القاهر الجرجاني" يؤكّد على التّمييز بين المعنى الصّريح للّفظة والمعنى المستلزم الّذي تخرج إليه دلالة اللّفظة، ومنه ربط المعنى بمعنى المعنى، " أن تقول المعنى ومعنى المعنى، ونعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللّفظ والّذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللّفظ معنى ثمّ يُفضي بك المعنى إلى معنى آخر"[15].

ويقول في فصل من كتابه "دلائل الإعجاز" بعنوان، في اللّفظ يطلق والمراد به غير ظاهره: " وإعلم أنّ لهذا الضّرب إتّساعًا وتفنّنًا لا إلى غاية، إلّا أنّه في إتّساعه يدور على شيئين: الكناية والمجاز، والمراد بالكناية هنا أن يريد المتكلّم إثبات معنى من المعاني فلا يذكُرُهُ باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئُ به إليه ويجعلُه دليلاً عليه... وأمّا المجاز فقد عوّل النّاس في حدّه على حديث النّقل، وأنّ كلّ لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز"[16].

ومنه يؤكّد "الجرجاني" ويقرُّ على خروج اللّفظة عن أصلها إلى معنى مستلزم يحدّده المقام، فيكون إمّا مجازًا وإمّا كناية، فيعرّف الإستعارة قائلاً: " الإستعارة أن تريد التّشبيه الشّيء بالشّيء، فتدعُ أن تفصح بالتّشبيه وتظهره، وتجيء إلى الإسم المشبّه به فتُعِيرُهُ المشبّه وتجريه عليه تريد أن تقول رأيت رجلاً هو كالأسد في شجاعته وقوّة بطشه سواء فتدعُ ذلك وتقول: رأيت أسد[17]

وقال أيضًا: " ليست الاستعارة نقل الاسم ولكن اِدّعاء معنى الإسم وكنّا إذا عقلنا من قول الرّجال رأيت أسدًا، أنّه أراد بها مبالغة في وصفه بالشّجاعة وأن يقول: أنّه من قوّة القلب ومن فرط البسالة شدّة البطش"[3]. لذلك فهو يعرّفها بقوله: " اِعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغوي معروفًا وتدلّ الشّواهد على أنّه أُختصّ به حين وضع ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في ذلك الأصل وينقله إليه نقلًا غير لازم فيكون هناك كالعارية"[18]

فنجد "الجرجاني" قد ميّز بين اللّفظة اللّغويّة الظّاهرة وحملها على المجاز؛ إذ يمكن للّفظة أن تدلّ على معناها من خلال الظّاهر فقط، وقد لا يتوصّل إلى معناها الظّاهر إلّا عن طريق التّأويل، وعليه فإنّ العبارة اللّغويّة قد تدلّ على معناها الصّريح بلفظها الحرفي، كما يمكن أن تدلّ على معنى مستلزم حواري، لا يتجاوز المجاز أو الكناية أو الاستعارة، وهذا ما يكون مقصودًا في الغالب، لذلك يعرّف "السّكّاكي" المجاز بأنّه " الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتّحقيق اِستعمالاً في الغير بالنّسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النّوع"[19].

لذا فإنّ الإستعارة تحمل قيمة حجاجيّة، وذلك بِجعل الإسم المستعار يحمل معنى المستعار له، فإذا قلنا: ﴿ **واشتعل الرّأس شيبًا "4"** ﴾ **مريم، الآية4**، فالله لا يقصد الإشتعال الحقيقي فذاك محال، وإنّما صفة الإشتعال لما في ذلك من سرعة على الإنتشار، ولا يخفى ما لهذه الطّريقة في الوصف من إيجابيّة وأثر وفعّاليّة في اِستحضار الصّورة في ذهن المتلقّي والتّأثير فيه، بأقلّ تعبير ممكن تسمح للمتلقّي بالتّأويل الخيالي أكثر من لغة الملفوظ الحرفيّة، " فالإستعارة ليست فقط واقعة لغويّة؛ بل واقعة تفرض أحكامًا معيّنة وفق تأويل دلالي وتداولي خاصّ مردّه إلى كونها تتضمّن معنىً يتجاوز المعنى الحرفي"[20].

ولإحداث التّأثير المقصود في المتلقّي والّذي قد تفشل اللّغة المباشرة عن تحقيقه، يأخذ التّعبير الإستعاري شكلاً إستدلاليًّا جديدًا، بعد حذف مقدّمتاه كالآتي:

.المقدّمة الكبرى: الإشتعال متناهي في صفات الإنتشار.

.المقدّمة الصّغرى: الموصوف يتّصف بصفات الإشتعال عن طريق المشابهة.

النّتيجة الإستعاريّة: الموصوف إشتعل.

ولابدّ من الموظّف للإستعارة الخضوع إلى شروط التّداوليّة لتوظيفها توظيفًا ملائمًا، كمراعاة المقام والقصديّة، وإلّا فقدت قيمتها الحجاجيّة الموظّفة من أجلها.

**2-1 الإستعارة عند الغرب المحدثين:**

تدرج الإستعارة عند الغرب في باب اللّسانيات العرفانيّة، نظرا للعلاقة التّفاعليّة القامة بين ثنائيّة اللّغة والذّهن، فاللّغة مرتبطة بالخيال الشّعري والجانب البلاغي، «فالنّسق التّصوري الّذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة إستعاريّة تمثّل اللّغة إحدى الطّرق الموصلة إلى اكتشافها، لذلك تعدّ الإستعارة التّصوريّة بعدا مهمّا من الأبعاد المشكّلة قصد الدّلالة في التّصور العرفاني»[21].

إنطلاقا من هذا التّصور فإنّ الإستعارة العرفانية هي طريقة نتعامل بها في حياتنا اليوميّة وفي جميع المجالات الحياتيّة، ومنه فهي ليست قضيّة لغويّة محضة ما دامت مرتبطة بالبنية التصوريّة للفكر البشري، وقد « برهن لايكوف وجونسون على هيمنتها من خلال إستعارات تتأسّس على ترابطات نسقيّة داخل تجربتنا بها نفكر ونتفاهم ونتواصل ونوسّع قدراتنا الفكرية»[22].

وحسب رأي لايكوف وجونسون فإنّ الإستعارة العرفانيّة إستعارات، منها البنويّة، الإتجاهيّة والأنطولوجيّة.

**-الإستعارة البنويّة:** «تبنى الإستعارات البنوية على ترابطات نسقيّة داخل تجربتنا، حيث تمكّننا من إيجاد الوسال الملامة لتسليط الضّوء على بعض مظاه التّجربة الّتي تنسجم معا»[23].

**-الإستعارة الإتجاهيّة:** «مؤسّسة على التّفاعل بين ما هو فيزيائي وما هو ذهني وما هو ثقافي».[24]، إذ لها علاقة بالإتجاهات المعرفيّة: نحو، فوق، تحت أمام وراء، ومنه الإتجاه الفضائي المألوف في ذهن وثقافة كلّ فرد، ففي قولنا مثلا (لا غد يأتي) إنّ مرتكزاتنا الثّقافيّة والفيزيائيّة تجعلنا نعتقد أنّ المستقبل يأتي من المكان، فنحن ننظر إلى المستقبل وفق الإتّجاه الّذي نتحرّك فيه ونسير نحوه[24].

وهذا التّصور العرفاني راجع إلى تصورنا الذّهني الّي يرسم الإتجاه الأمامي والورائي. وهنا يشبّه الشّاعر "درويش" الغد بإنسان يمكنه القدوم والمجيء والتّحرّك والمشي فبُعث فيه الرّوح. إستعارة بملفوظ (يأتي) المنسوب إليه مجازا لا حقيقة ولكنتّ الغاية المحقّقة والمقصوديّة من وراء هذا النّوع من الإعارة الإيمان بالفشل ومنه الإستسلام للواقع المزري المعيش حسب نفسيّته ومنه لا أمل في الحياة.

**-الإستعارة الأنطولوجيّة:** «تتمثّل الإستعارة الأنطولوجيّة في بنينة أنساق وموضوعات مجرّدة إستنادا إلى أنساق فيزيائية وموضوعات محسوسة»[26]. فهي تصور الزمن على أنّه إنسان يقوم بأفعال كالذّهاب والإياب ولو عدنا إلى نفس المثال السّابق لا غد يأتي نجد أنّ الغد وهو الزّمن صار شخصا عن طريق التّصورات الإستعارية الشّخصية، ومنه الزّمن شخص. فنسبة الغد هنا تستجيب لكلّ ما يخضع له الإنسان.

-البنوية: تبيّنت عدم قدوم الغد ومنه اليأس.

-الإتجاهية: تتمثّل في قدوم الغد كقدوم شخص تجسّدت فيه الجوانب الفيزياية.

-الأنطولوجيّة: صار الغد وهو زمن كيانا مجسّدا يمكنه القدوم.

**خاتمة**

وبهذا نؤكّد ضرورة وعي المتلقي للخطاب بالجوانب الحجاجية من خلال استحضاره للمقام وفهمه للوسائل الحجاجية والاستراتيجيات الإقناعيّة وآلياته والّتي خلصنا إلى أنّها موظفة توظيفا يهدف إلى الإعجاز الرّباني عن طريق الإقناع باللّفظة، وهدفنا تبيين الأساسيا الّتي يبنى عليها النّص الحجاجي في إطار التّداوليّة والإستعارة العرفانيّة، وأهمّ النقاط المستنتجة:

. الوعي بالهدف والقصد من الحوار الحجاجي، الّذي يجسّد التّداول الخطابي بعد وجود الطّرف الآخر، الّذي يخلق جانب النّقاش ومنه الكشف عن طريقة التّفكير وكيفيّة الإستماع للآخر، من أجل إكتساب القدرة على الرّدّ بإقناع.

. تمكين المتلقّي من أسس الحجاج وذلك عن طريق أسلوب المقارنة .

. الوقوف على إزدواجيّة البعد الحجاجي المركّب من الجانب العقلي والعاطفي؛ لأنّ الحجاج وإن كان منطلقه عقليًّا، فإنّ تأثيره يظهر على الجانب العاطفي من حيث الإنقيّاد؛ إذ تكون اللّغة هي القالب الّذي يجسّد ذلك.

. الحوار يكشف القدرة الحجاجيّة أثناء المحاجّة، ويعوّدُ المتلقّي والمخاطب على تنظيم وترتيب الأفكار، كما يجعل عقلهما قادران على الوعي الضّمني والإدراك القصدي للألفاظ ومنه القدرة على التّحليل والمقارنة للوصول إلى الهدف والغاية المرجوّة.

. تحقيق البعد الدلالي للإستعارة العرفانيّة من الجانب البلاغي.

. الإستعارة العرفانيّة سواء عند العرب أو الغرب مجالها الذّهن وإشتغاله.

. الإستعارة العرفانيّة وإن كانت فكرا حديثا عند الغرب أصولها ممتدّة عند العرب.

**الهوامش:**[1]

1- إدريس مقبول، الأسس الإبستمولوجيّة والتّداوليّة للنّظر النّحوي عند سيبويه، جدار للكتاب العلمي، عمّان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، د. ط، 2008. ص265.

2 . الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتّبيين، ج1، تح: عبد السّلام هارون، مطبعة الخباجي، مصر، دط، 1975. ص76

3 .. نعمان بوقرّة، نحو نظريّة لسانيّة عربيّة للأفعال الكلاميّة، قراءة إستكشافيّة للتّفكير التّداولي في المدوّنة اللّسانيّة التّراثيّة، مجلّة: اللّغة والأدب، جامعة الجزائر، العدد:17، جانفي 2006.ص180

4- ابن منظور: لسان العرب، م ج2، تح: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط01، 2005، ص27.

5-الرّازي (محمّد بن أبي بكر عبد القادر الرّازي): مختار الصّحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، ط01، 1967، ص122، ص123.

6-الجرجاني (الشّريف علي بن محمّد): التّعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار اللّسان العربي، بيروت، لبنان، د.ط، 1992، ص482.

7- مسعود صحراوي، التّداوليّة عند العلماء العرب، دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التّراث اللّساني العربي، دار التّنوير للنّشر والتّوزيع، 159 شارع طرابلس حسين داي، الجزائر، ط01، 1429هـ-2008م، ص51.

8-المصدر نفسه: 92، 93

9-المصدر نفسه، ص94.

Jean Francois, Jeadillou, Lanalyse textuelle, Armand colin, Paris, 1997. p05.10-

11-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: ص105، 106.

12- العيّاشي أدواري، الإستلزام الحواري في التّداول اللّساني، من الوعي بالخصوصيّات النّوعيّة للظّاهرة إلى وضع القوانين الضّابطة لها، منشورات الإختلاف، الجزائر، دار الأمان، الرّباط، الطّبعة (01)، 1432هـ . 2011م.ص92.

13-مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص118.

14- قدّور عمران، البعد التّداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطّبعة (01)، 2012. ص55

15-الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجاني)، دلائل الإعجاز، دار المدني، جدة، ط03، 1992م، ص268م.

16- المصدر نفسه: ص110.

17- المصدر نفسه: 67.

18- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرّحمن الجرجاني)، أسرار البلاغة في علم البيان، تح: سعيد محمد اللّحام دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1999.ص30.

19- السّكّاكي، مفتاح العلوم، تح: عبد المجيد الهنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2000.ص469،468.

20- حسان الباهي، الحوار ومنهجيّة التّفكير النّقدي، أفريقيا الشّرق، المغرب، 2004.ص103.

21-لايكوف جورج، مارك جونسون: الإستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1996، ص21.

22- الميلود حاجي، الإستعارة في نماذج من شعر محمود درويش (مقاربة عرفانيّة)، مجلّة فصول (الإدراكيات)، المجلّد (4/25)، العدد100، صيف 2017، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، ص432.

23. المصدر نفسه، ص438.

24. المصدر نفسه، ص432.

25. المصدر نفسه، ص433.

26. المصدر نفسه، ص435.